شيء من ... ١٩٤٨

حسن عبدالله

مقاومون مضحكون يضحكون قرب قرية صغيرة
يحتشد الاطفال والنساء حولهم
ورجل يمر لا مباليا
فراشة تمر
نسمة
رصاصة
طائرة عالية أعلى من البواشق الكبيرة

* * *

الشمس تجري في العصافير وفي اوردة التين وفي فكين
يعملان فوق ربعة غزيرة الحشيش
يا بقرة نحبها كما نحب امهاتنا
يا زغب الصخور
يا حضارة من ورق الزيتون والتين
ويا ... فلسطين
فلسطين التي تمضي
فلسطين التي تأتي
فلسطين التي :
« تحيا فلسطين »
التي
« عاشت فلسطين »
التي
عيّشها الاسم الذي :
« يعيش ! »
يعيش فوق ربعة غزيرة الحشيش .

* * *

الشمس تجري ...
المقاومون يأكلون
خلف الزرع والعصفور والحجارة البيضاء — في مكان ما
من النهار الشاسع النظيف — كان مدفع يدور
بين الارض والسماء
أكل المقاومون .. دخنوا .. وفككوا السلاح .. لاعبوا
الاطفال .. ضاحكوا النساء
دار الظل نصف دورة على التراب حول صخرة عالية
يركبها الطفل الذي — عدا الجميع — يستطيع ان يرى
الجنود يضربون الخيمة الخضراء
أحد المقاومين قام ، قام معه فخذاه
شارباه
بطنه
قنبلة كبيضة الثور تدلت من
نطاقه

مشى ..
تبعه المقاومون رفسوا الاعشاب والحجارة البيضاء
بالاحذية القاسية ، انحنوا لدى مرورهم بالشجر
المنخفض الاطراف قبل ان ينعطفوا المنعطف الهابط نحو
السهل
لوحوا كأنهم يسافرون في الروايات وفي القصائد القديمة
المحاربة .

* * *

من شاهد الحقول — قمحها الموجي — والمقاومون
يبعدون ... يبعدون ... يبعدون ..
وتلتان ثم قرية وطائر وجبل يذوب في الهواء
تلك غيمة أم الدخان ؟
مدفع أم الجنود يحفرون في الجبل ؟
من سمع الرصاص ؟ من رأى الدخان ؟ من رأى الطائرة
الرجال يركضون ،
والنساء يحتشدون حول خبر كبير ؟ !
من شاهد الطبيب وهو قادم كالله حامل كالله
محفظته ؟ !

* * *

في الخبر الذي اتى من الجنوب كان ميت ممددا وروحه
خارجة من كم سترته .
فحصه الطبيب جيدا وقال : مات !
في رأسه وفي عظام صدره ، في البطن واليدين والفخذين
كان ميتا
كان شديد الموت في عينيه
في ذلك المكان من عينيه حيث يوجد الوطن
وهكذا لم يسمح المقاومون للغزاة ان ....